كل ذلك في قوام ملموس . وهو ما يعبر عنه في علم النفس بالاخراج extériorisation والموضعة objectivation (واعتذر عن الترجمة ، فلم اجد عبارة انسب) وان تلك العملية في اساس الانسلاب ، ولذا غالبا ما عرف الادب بانه انسلاب ، ولكن جميع ما يقوم به الانسان ، انسلاب في معنى من المعاني ، وهكذا فان ذلك التعريف لا يعرف شيئا. ولو اردنا ان نأتي بتشبيه لامكننا ان نشبه حالة الانسان بشريط كهربائي موصول بمولد ، ان المولد يشحن الشريط ، ولكننا لن نتبين حقيقة طاقة المولد ، وقدرة الشريط على نقل تلك الطاقة ، ما لم نضع في نهايته زجاجة كهربائية ، فتتوهج الاسلاك الدقيقة فيها ، ومع اشعاع ذلك الضياء نتأكد من وجود الطاقة . وكذلك الانسان فما لم يتوهج في اعمال وافعال ، ما لم « يخرج » ما في داخله ، بقيت الطاقة كامنة مستترة ، وذا امر مستحيل ، لان الانسان طاقة فعالة وليس طاقة خامدة ، اذ هو مزود بالمولد ـ القلب والدماغ ـ الذي يكفل الخلق المستمر للفعالية الحركية . واذن فان الادب ايضا طاقة ، وهي طاقة « تخرج » في الاشكال الادبية المعروفة : من رواية ، وقصيد ، ومسرح .

وان اول ما يتوارد على الذهن التساؤل عن السبب الذي يجعلها متوفرة عند فرد من الناس دون فرد آخر . وما دام الادب كما ذكرنا نشاطا طبيعيا ، افلا يجب ان يتوفر عند الجميع ؟ اجل ، وانه لمتوفر فعلا عند الجميع . فمن يستطيع ان يزعم بأنه لم يحاول الكتابة في لحظة من لحظات حياته ، او انه لم يرغب رغبة حارة لو يستطيع القيام بمثل ذلك ؟ وحتى بين الاميين ، من لم يرغب بقص اجمل القصص ، والقدرة على انشاد الشعر ؟ وتلك الحركات المشوحة باليدين ، وتلك التقلصات والانبساطات المغالية في عضلات الوجه ، وتلك الاختلاجات التي تهز الجسد بأكمله اثناء ابسط الاحاديث ، اليست اشكالا دنيا من التمثيل المسرحي ؟ ولكن فردا بالذات ، ينبغ في ذلك المجال، بتفوق وذكاء وبراعة ، من دون جميع الآخرين، فلماذا ؟ لقد فسر الامر بالموهبة. وان كان المقصود من الموهبة الاستعداد، فطريا ومكتسبا بصورة خاصة، فلا يسعنا الا ان نذكر بأن اي عمل من الاعمال يتطلب موهبة خاصة به. ويكون في مقدورنا ان نستعيض ، منعا للالتباس ، عن كلمة موهبة بكلمة اخرى هي : « الكفاءة » . ولكن الموهبة قد ذهب القائلون بها الى ما هو ابعد من ذلك بكثير . واول ما فسرت به انها « وحي » ، وخاصة في ميدان الشعر . ولانها وحي ، فهي ايضا دعوة ، ورسالة ، بل و ... نبوة . ولقد اتخذ الوحي اكثر من معنى ، فهو الهي ، وهو ميتافيزيكي ، وهو طبيعي . وفي ايامنا هذه ، ضرب الوحي جذوره في اللاشعور ، وفي الوعي الفردي . ولكن ما يثير الحيرة امام مثل تلك التفسيرات ان الوحي كان يأتي على الدوام متطابقا مع حاجات وطبيعة العصر !! . وانه قد تغير وتبدل مع تغير وتبدل الاوضاع الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية . انه ، والحال هذه ، وحي شديد المرونة ، الى درجة الميوعة . لقد عرف الادب الكلاسيكي مع النظام الملكي الاقطاعي واشتداد بنيانه ورسوخ دعائمه . وقام ذلك الادب على النظام الدقيق ، وعلى السكونية ، واستمد شخصياته من الملوك والامراء والفرسان . ثم عقبه الادب الرومانتيكي مع انهيار ذلك النظام ، داعيا الى التحرر ، والى الخيال والعاطفة ، والى الفردية ، في تلازم مع الدعوة الى التحرر الاجتماعي ، واطلاق العنان لحرية الانسان ، وفي تلازم مع اعلان حقوق الانسان . ومع ولادة المجتمع الصناعي ، وبدء الاكتشافات العلمية الكبرى التي غيرت وجه اوروبا ، قامت المدرسة الواقعية والطبيعية، ورأينا في الفلسفة صعود الوضعية العلمية . ثم جاءت الحرب العالمية الاولى ، وتبعتها الحرب العالمية الثانية ، فأجهزت على البقية الباقية من التفاؤل الذي عرف اوج ازدهاره في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وعرفنا في الادب مدارس الدادا ، والسريالية ، ثم كان اللامعقول . افلا يثير الوحي حقا بعض الاستغراب ؟ ولا يسعني في هذا المجال الا ان استشهد

ـ التتمة على الصفحة ٤٢ ـ

القضية

لو كنا نقتل من أجل بناء خرب أو شارع
لو كنا نقتل من أجل الذهب الضائع
أو كلمات قيلت فامتلأ العرق
أو سأما أو خوفا أو نقتل دون شفاه
فلتبصق في أعيننا أفراح العوده
ولتلعنا في كل زمان
كلنا نقتل من أجل الانسان
من أجل الجيل الآتي في أحلام الصحو
من أجل الجيل الآتي نروي ظمأ الارض

*

قد نحرق في ليلة صيف ... أو عند الفجر
تأكلنا ألسنة النيران
أفضل أن تأكلنا الاحزان
أو تسحب ثدييها امرأة من كف جبان

*

لو كنا نقتل من أجل جدار أصفر
نقشت في صدغيه تآريخ النصر
أو أرصفة في أقدام الغرباء
لو كنا نقتل صبح مساء
حتى نعطي أزهار الكذب
فلتلعنا اصوات الرب
لكنا نقتل أو نقتل من أجل الحب

حلب — خلدون الصبيحي